

معركة الفصحى والعامية في الصين

توحيد اللهجات الإقليمية لمواكبة الركب العالمي

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

نالعاميات كانت مختلفة تبعا لاختلاف القوميات البالغ عددها خمسين (عدها السياسي لا يتجاوز احدى وعشرين قومية) .

وقد تكونت اللغة الصينية الحديثة من ثلاثة عناصر : الكتابة القديمة والعامية المستعملة واللغة الدخيلة وعناصرها الضئيلة تستمد من اليابانية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية بسبب تعاقب التأثيرات الاستعمارية على هذه المنطقة في مختلف العصور وقد دخلت الى الصينية الفاظ عربية عن طريق الانجليزية مثل اريكة وصافا اي متكأ من الصوف Sofa (1) بينما اثرت الهندية عن طريق النحلة البوذية .

وقد انطبعت مسطرة العمل بطابع شيوعي تجلى في منهاج التوحيد المكون من ثلاثة مقومات .

(1) مقاومة النظام الرجعي في تطوير اللغة بتركيز كل تطوير على الوعي الوحدوي الجماهيري

(2) توحيد اللغة على اساس التقريب بين الجماهير وتوحيد الثقافات الاقليمية .

(3) اتخاذ اللهجات المحلية وخاصة الشمالية اساسا للفصحى مع اقتباس اصول النحو مما وضعه العلماء المحدثون في كتاباتهم بعد الثورة كمتألات ماوتسي تونغ المختارة .

بعد اقتبال رئيس الاكاديمية العلمية الصينية للسيد الامين العام للمكتب الدائم للتعريب خلال رحلته الى الصين الشعبية في العام الماضي انعقدت جلسات عمل مع اعضاء في الاكاديمية الصينية لدرس المناهج والاساليب التي يسلكها اللغويون الصينيون لحل مشاكل اللغة والكتابة والحروف وتوحيد اللهجات الجهوية وتحقيق التوازي بين اللغة الصينية الحديثة واللغات العلمية المعاصرة وقد طلبنا من السيد الامين العام الانضاء بارتساماته حول هذا العمل الضخم فقال :

ان ابتداء اللغة الكتابية الصينية يرجع تاريخه الى ما بين الفين وثلاثة آلاف من السنين والغاية التي يستهدفها علماء اللغة الان والتي ينكبون منذ نحو اربعة عقود من السنين على انجازها هي توحيد اللهجات ومفرداتها والقواعد النحوية وتمكينها من مواكبة ركب الحضارة . ومعلوم ان الفصحى الصينية اثبتت عن العامية بعكس ما وقع للغة العربية وكان لغويو الصين قد طلبوا منذ نحو مائة سنة بالاستعاضة عن العامية وتوحيد اساليبها فلم يتأت للمشروع ان يحقق الا ابتداء من عام 1919 حيث شرع في وضع اساس اللغة الحديثة على اساس اللهجات الدارجة وكان الضابط الاساسي لهذه العملية هو ضمان التقارب والتواكب بين لغة العلماء ولهجات الشعب

(1) بالاضافة الى التأثير العربي عن طريق التجار المسلمين الذين اثروا في المجتمع الصيني عامة وفي الاوساط الصينية الاسلامية خاصة .

الخطوط للاستعاضة عنها بحروف الفبتائية وعددها خمسة وعشرون حرفا في اللغة الصينية 3000 من الخطوط الاساسية اي اول الكلمات المفردة)

ومعلوم ان طريقة الخط هي عبارة عن الرسوم الصينية الحرفية التي سيستعاض عنها بالحروف اللاتينية .

3) توحيد اللغة وتعميم الفصحى الحديثة

مسطرة تأليف المعجم :

وتع الشروع في تأليف المعجم الجديد عام 1955 (بينما يرجع تاريخ اصدار المعجم القديم الى عام 1927) بعنوان « معجم مفردات اللغة الصينية الحديثة » تحت اشراف مكتب تحرير المعجم التابع لكلية بحوث اللغة الصينية الملحقة باكاديمية العلوم الصينية وهو معجم وسيط اساس مصطلحاته اللغة الفصحى الحديثة وهو خاص بالابتدائي والثانوي :

1) الكلمات وهي مجموعة خطوط ليس لها معنى خاص ، فالخط الرسوم هكذا : 人 معناه الشعب ولكن معناه العام هو الانسان في اللغة القديمة وقد احتفظ به .

2) المفردات : تتببس من نشرات وكتب حركة التحرير وخاصة مصنفات ماوتسي تونغ في المستوى المتوسط فقط ولاختيار هذه المفردات ضابطان اثنان يرجع احدهما لتأثير الافكار البروليتارية السياسية الحالية التي هي مظهر للامح الطبقة مثل الكومونات الشعبية Communes rurales والقفرزة الكبرى والفرق الانتاجية والآخرى لفصح النظام القديم بدافع اختيار نقدي على ضوء افكار ماوتسي تونغ فلهذا حمل اللغويون على « تاموس اللغة الوطنية » الذي صدر عام 1933 بدعوى امتلائه بالفاظ مقتبسة من نظام تشانغ كاي شيك لا يوجد من بينها كلمات مثل المقاومة والانتاخذ الوطني فمقياس توحيد اللغة يكن اذن في نظر اللغويين الصينيين المعاصرين فيما يجب ان تعكسه المفردات الجديدة من روح زمنية اي منبثقة عن مبادئ ماوتسي تونغ وعلى هذا الاساس وحده يتم انتقاء المصطلحات والامثال السائرة في العاميات الحديثة وكذلك الجمل التي يضاف اليها شرح للالفاظ الدخيلة المختارة .

والعمل التنسيقي الحالي يسير على نهج محكم ففي عام 1956 تأسس مكتب التحرير لتعميم الفصحى المشتركة يشتغل فيه نحو ستة عشر شابا جامعييا

وتد تحقق الان تعميم عناصر اللغة الحديثة باستقصاء دراسة العاميات القومية للبحث عن ضابط التقريب بين الدارجة والفصحى فصدرت بحوث في النحو والبلاغة وخاصة المصطلحات التي يتبلور اختيارها في وضع معجم في شكل اداة طيبة بيد الشعب .

المعجم الصيني الموحد

وخلال الجلسات التي عقدناها في الاكاديمية قدم عضوان في بعض المراكز الجمعية احدهما وهو الاستاذ ليوجيان Liu Jian بحثا حول اللغة الصينية والآخر وهو الاستاذ موهان Mou Heng عرضا حول المعجم مع الاجابة عن كل الاسئلة والملاحظات التي كنا نبديها بين الفينة والآخرى : ونحن نلخص هذين العرضين فيما يلي :

ان وضع معجم صيني يثير مشاكل معقدة تدرج في ثلاثة اقسام :

1) سبب تأليف المعجم الموحد هو تطوير اللغة ضمن الاصلاح الثقافي العام استجابة لقتضيات الوحدة الثقافية بين عناصر الشعب الصيني فالوحدة يجب ان تتم طبقا للوازم العصر ومقتضياته وللأوضاع المتجددة في الصين في حقل الاشتراكية والعلوم والتكنولوجية المعاصرة مماضاعف المفردات الحديثة وابطل استعمال مصطلحات قديمة، نعم تتوفر اللغة الصينية على مفردات غزيرة غير انها لا تستجيب لمطالب المجتمع الجديد فلذلك استعيرت مفردات قديمة صالحة وتولدت اخرى حديثة اصبح الشعب يستعملها في مجال التقنيات متنوعت بذلك معطيات الفصحى الصينية بترجمة مصطلحات التكنولوجية الغربية الحديثة مثل بينيسيلين Penicilline أصبحت تسمى تشين مي سو ومعناها عنصر القضاء على السم والالتهاب وهناك طريق ثمان هو نصف ترجمة معنوية ونصف لفظية مثل tracteur بالفرنسية او tora بالروسية صارت طورا - تي Tor-a-ti اي ماكينة .

2) العامل الثاني لتركيز اللغة هو النهوض بالثقافة الاشتراكية على ضوء النهضة الاقتصادية القائمة ونظرا لكثرة الحروف لم يمكن طبع معجم مرتب عليها لهذا رتب معجم جديد على خطوط الكلمة وقد طبع عام 1955 باسم « تاموس الصين الجديدة » في 7000 كلمة في جزء واحد مبسط يجعل في متناول الطلبة والباحثين والعمال ، وقد وقع العدول عن

مع عدد قليل من الخبراء القدامى الذين سبق
أن ساهموا في وضع المعجم الأول وهناك أيضا
خبراء لكل مادة يقومون باختيار ما يتصل باختصاصهم
وكلهم طلاب يتخصصون في اللغة بكلية الآداب ويتلقون
تكويننا فنيا دقيقا للاضطلاع بمهنتهم ويقوم هؤلاء
المتدربون باختيار المواد الأولية المستعملة من :

(أ) المصادر الأدبية وخاصة المقالات والأبحاث
النموزجية الاشتراكية .

(ب) مواد العلوم الاجتماعية مثل كتب مدرسية
ابتدائية وثانوية وقراءات مبسطة .

(ج) معارف تكنولوجية .

أما المواد الثانوية فيقتبسونها من المعاجم
القديمة كقاموس اللغة الجديدة المطبوع أول عهد
التحرير بالإضافة إلى المواد الحية المأخوذة من أعمق
جواهر الشعب ومن حياته اليومية وعاداته
ومبوله ومفاهيمه وتعابيره التلقائية عنها .

وقد انيط هذا العمل الضخم بثلاث فرق جمعت
خلال عام واحد 700 000 جزارة (أي بطاقات)
أساسية ثم خلال عشر السنوات التالية إلى عام
1966 جردت 900 000 جزارة إضافية من المقالات
الصحفية والمجلات .

أما اختيار المفردات فإنه عملية معقدة تتطلب
تحليلا علميا للمفيد وغير المفيد وقد اختير خمسون
الف مفرد من سبعمائة ألف ثم نتج عن فحص ثمان
أدق انتقاء ثلاثة آلاف مصطلح أصنف إليها ستة آلاف
أختيرت من التسعمائة ألف وهذه الأرقام تقريبية .

ولا يتم الاختيار للمصطلحات الأصلح إلا بعد
جدال عنيف بين الأعضاء الذين ينتمون لمختلف الأقاليم
والقوميات ويمثلون مختلف الاتجاهات وذلك حول
مقاييس الاختيار أي موضوعيته أو إلى الانسياب
مع الأيديولوجية البروليتارية كميّاس للحكم للفظ أو
عليه غير أن الاتجاه العام السائد هو ضرورة
انعكاس السياسة الاشتراكية والمفاهيم الأيديولوجية
في تركيز الثقافة الجديدة عن طريق مصطلحات جديدة
فالمصطلح المختار وتعريفه يتأثران بمقتضيات المجتمع
الطبقي القائم فالروح مثلا تعرف بأنها كلمة خرافية
وبأن رسالة الماركسية التي لا تومن بالاله هي فصح
خرافة الروح وقداسة الأديان .

وهناك مثلين آخرين للتدليل على مدى تأثير
اللغة وتطورها بالعامل السياسي ذلك أن مسلاك
الأراضي الذين عرفهم القاموس الوطني القديم بأنهم

مالكون للأرض يؤجرون فدادينهم للفلاحين في مقابل
صاروا يعرفون الآن بأنهم مالكون لا يشتغلون
وأما يعيشون على حساب الفلاحين .

وللتعبير عن الموت مثلا يقال الوفاة وهي موت
المحترم سياسيا في حين أن الموت يعبر بها عن وفاة
المحتقرين من خصوم الاشتراكية .

فاللفظ أصبح محط انعكاس لا للمفهوم العلمي
أو التاريخي أو الحضاري وإنما هو مرآة الاتجاه
الأيدولوجي الجديد .

ويستند اللغويون خاصة على ما يسمونه
بحكمة الجواهر فالكلمة الأخيرة هي نظريا للشعب
في اختيار اللفظ الصالح .

وهناك لجنة للتبادل مكونة من ثلاثة أعضاء
تختارهم اللجان أو الفرق الثلاث المذكورة والتبادل
هنا معناه إعادة النظر في الجزازات وأرجاعها إلى
رئيس كل لجنة للتحخيص فتعاد الجزازة إلى صاحبها
الأول للتحري وإبساء الرأي من جديد
ويعد التصحيح الثاني للجزازات ترجع كل جزازة إلى
الرئيس العام للفرق الثلاث زيادة في التحخيص ثم تعاد
إلى واضعها للمرة الثانية لتصحيحها على ضوء
التوجيه الجديد وهو التوجيه الناتج عن أسئلة
ماوتسي تونغ القائلة بأن القاموس له هدف واحد
هو الجواهر فينبغي أن يكون عمليا واقعيا مبنيا
لشعب إذا أرادت له الحياة فهذا تكال العمليات
السابقة بطبع كل الجزازات في الورق المهترق
(استئصال) لتوزع على الجواهر من رجال التعليم
والجامعة وغير الأميين من العمال والجنود .

أما مفردات العلوم التكنولوجية فإنها تعرض
في نهاية الأمر على أقطاب مؤسسات البحوث العلمية
لاتقرارها .

وهكذا يرى لغويو المذهب الصيني الجديد أن
اللفظ الحضاري العام يخلقه الشعب ويقره الشعب
أما المصطلح العلمي فإن انتقائه راجع للاختصاصيين
وإذا كانت الفكرة طيبة في أساسها لأنها تبني قابلية
حياة اللفظ على مدى تغلغه في المجتمع وأقبسال
الجواهر عليه فإن الإيغال في ذلك قد يؤدي إلى نوع
من الشكليات المصطنعة والحل الوسط الذي نرتبه
هو أن العمالية أي اللفظ المتغلغل في أحشاء الشعب
يجب أن يحسب له حساب في تطعيم الفصحى
لما ينتج عن التلقائية الجماهيرية أحيانا من روعة
فطرية وعمق جبلي ، ولكن اتخاذ ذلك أساسا
للمعمل قد يؤدي إلى فوضى لا داعي لها .